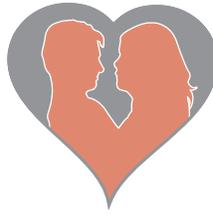


الباب الثالث

مشكلات المرأة وخصياتها



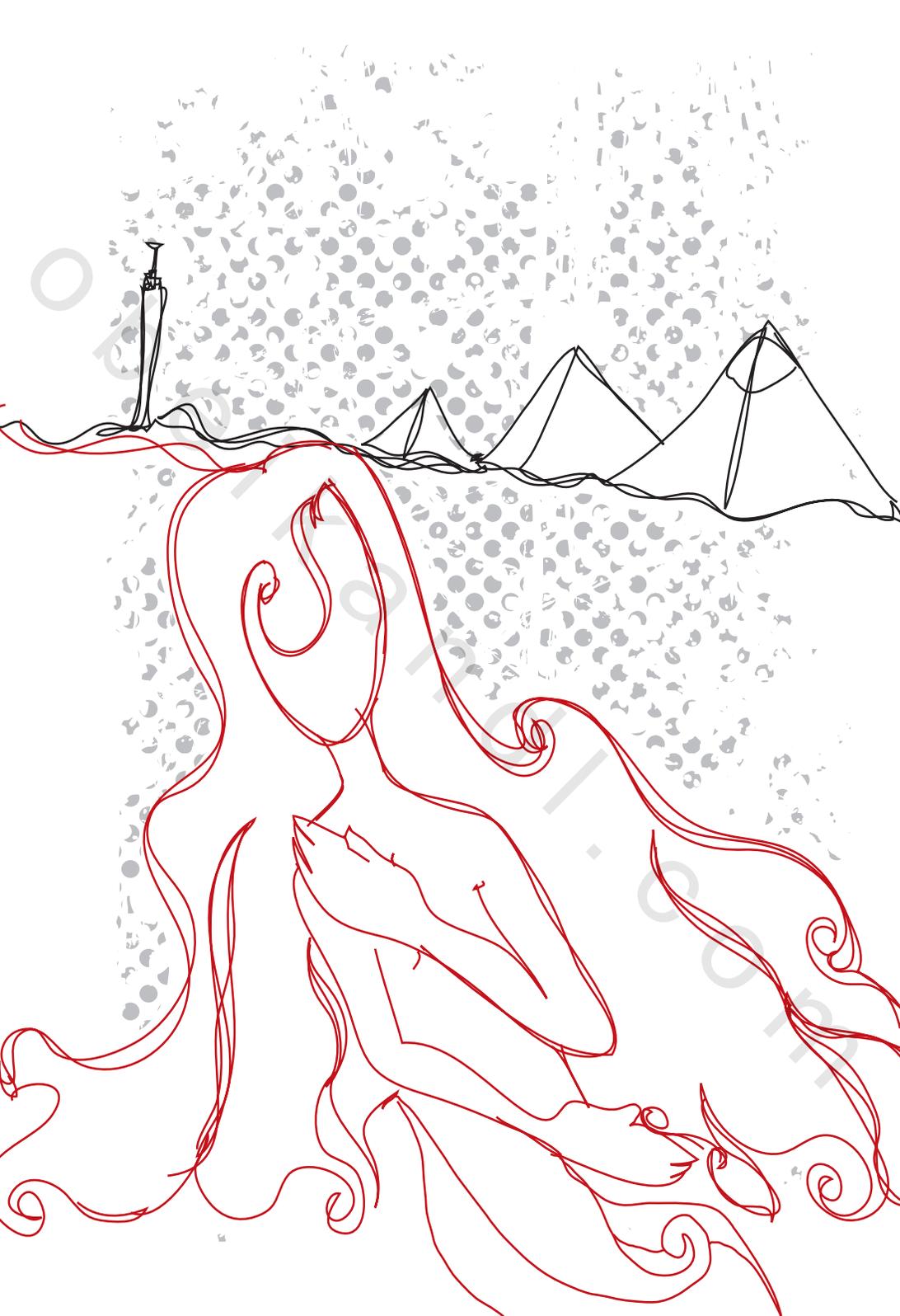
obeikandi.com



سيكولوجية المرأة في بلادنا

8

obeikandi.com



obeikandi.com



لَمَ المرأة العربية، لماذا لا يكون الرجل العربي...؟؟
في لحظتها أيقنت أنى رومانسي للغاية، فالمرأة في الكون
كله لها خصوصياتها، فما بالك بتلك العربية الغاية في
الخصوصية، والغاية في التعرض للقهر والتحرش، الإهمال
والاستغلال في مجتمع ذكوري بل صارخ الذكورة.

الأمر ثلاثي الأبعاد (سيكولوجي - اجتماعي - بيولوجي أو
عضوي).

ولعل البعد الاجتماعي هو أهم تلك الأبعاد قاطبة لتأثيره
القوي ولدخوله عميقاً في صلب الأشياء، وأيضاً لتأثيره الشديد حتى
على البعد الجسدي، العضوي، بمعنى أن تأثيرات وأحداث الحياة
السلبية تسلب مرونة المخ Neuroplasticity وخلاياه العصبية
وتتركه واهناً ضعيفاً هشاً مهترئاً، عرضةً أكثر للصدمات، وتُهيئُه .
بخلل واضح. لكي لا يقاوم بل ليستسلم لاضطراب مسبق.

ولنتشارك سوياً تلك النقطة القوية التي شاعت في أرجاء
الوطن العربي بعد احتلال صدام للكويت تقول النقطة إن ثمة رجلاً

يُدعى (عَرَب) كأن متزوجًا من امرأة قاصرة عقليًا تُدعى (طنبورة)، وكان (عَرَب) قد دَرَب (طنبورة) على أنه اذا فَرَش لها المملية نامت على ظهرها، فتحت رجلها واستعدت للقاء الجنسي، فما كأن إلا أن أصاب أحد صواريخ صَدَّام بيتهما فاحترق، حاول (عرب) جمع ما غلًا ثمنه وخف وزنه، فرش المملية ليضع متاعه عليها، فما كأن من (طنبورة) إلا أن نامت على ظهرها وفتحت رجلها داعية (عَرَب) للقاء الجنسي، مما أثار بالطبع. دهشة الناس المهرولين بعيدًا عن آثار الدمار، مما حدا بهم إلى التعليق المباشر (ياااااااااا... شوف عرب وين، وطنبورة وين)؟؟ وهي إشارة خطيرة لمفهوم الخضوع، عدم القدرة على الفهم، الطاعة العمياء للذكر ومحاولة إرضائه رغمًا عن النيران والصواريخ، تصب هذه النكتة القاسية للغاية في صميم حكايات تحكيمها النسوة العربيات في إطار شكواهن العضوية ذات المنشأ النفسي، ذلك المتكون من صراع الأضداد.

أما عن تلك المرأة التي اعتقدت أن زوجها وأبو ابنها يحبها، لكن في الحقيقة كانت عينه على مالها، وبالطبع حسبها ونسبها، ولما كتب الكتاب عليها لم ينتظر ليلة الدخلة، وإنما فضَّ بكارتها ووضعها أمام الأمر الواقع (شكل هذا لاحقًا شعورًا ساحقًا بالذنب نتيجة تطور الأحداث واختلاف نمط الحياة معه)، فلقد أهمل عواطفها ولم يعد يتشارك معها في أي من أمور الحياة، إلى أن لاحظت عليه تغيرًا ما، فلقد دأب على العودة ليلاً (في وش الصبح)، وغالبًا ما كأن يتعاطى (عقاقير منشطة أو مخدرة أو كل منهما)، كأن يوقظها من

النوم ويطلب منها أن تستحم وتزين وتستعد لممارسة الجنس حتى يطلع الصباح بدون توقف. رأت في وجهه وجه الذئب المفترس، ولم تحس بأدنى متعة لكنها أحست بألم فظيع، باغتصاب حقيقي، اغتصاب من زوجها الذي أصبح كماكينة الجنس Sex Machine بسبب ما يتعاطاه، غالبًا أنه لم يحصل على أي متعة، ولم يكتسب أي لذة، لكنه كأن يتسليّ ويقلدّ أفلامًا إباحية أدمن على مشاهدتها مع رفاقه العزاب. أصيبت المرأة بالاكتئاب الشديد، بالقهر، بالمدلّة، كأن وضعها كإمرأة مؤمنة يضعها في موقف المُطيع خشية غضب الله، لأنه لازم ولا بد أن تستجيب لنداء زوجها في الفراش مهما كان الوضع، وبعد الجهاد لإقناع أهلها بحتمية هذا الطلاق، انتهى الأمر بطلاقها فعلاً، لكن الأب بذكوره المعهودة وسمعته التي تملأ الأفاق، كأن لا يهتم بأحاسيس ومشاعر ابنته، كأن يتشدد بما يقوله أباء (بطرياركيون) كثيرون، (طيب يا بنتي استحملي هُو أنا يعني هاعمل إيه؟ الناس هتسألني بنتك اتطلقت ليه؟!) وآخر أجب رابنته على الزواج بمن لا تحبه، لأنه أعطى الناس كلمة (وشكله هيبقى وحش قوى قدامهم)، مايجراش حاجة، اتجوزيه وجيبي منه عيلين وابقى اتطلق، ثم انتهى الأمر بطلاق بعد ٢٠ سنة وثلاثة أولاد وقهر وحالة متطورة جدًّا من (الجسدنة) Somatisation شملت ضغط الدم العالي، الإغماءات المتكررة والتسوق الطبي Doctor Shopping ، ثم إلى الزواج بمديرها الذي يكبرها بـ ٢٥ سنة وكأن ذلك في السرّ. هذه بعض النماذج التي تمثل حالات القهر والعنف المعنوي، الظلم والمرارة والألم النفسي والجسدي.



نوجة (وهذا بالطبع ليس اسمها الحقيقي) امرأة فلاحه من إحدى قرى الصعيد الواقعة جنوب القاهرة وتبلغ من العمر ٢٦ عامًا، حلوة وعايقة على الرغم من امتلائها بعد إنجابها لولدين، متزوجة من سيد النجار الذي يكبرها بحوالي ست سنوات. في الظاهر نوجة راضية بعيشتها مع أهلها وزوجها، أولادها وتفرح باللّمة والعزوة، لكنها في عقلها الباطن (بينها وبين نفسها) غير راضية إطلاقًا بهذا الأمر الواقع، وترى في سعاد حسني في فيلم (بئر الحرمان) خير مثال لحالتها، ف(نوجة) الأخرى هي هند أو سمارة أو هيفاء تلبس وتضع الماكياج الثقيل، تغمز

للرجالة وتشرد، تَهَيَّجَ بعيدًا عن الفقر والسكون والملل والعيشة الفاقدة للمعنى والدهشة وللبهجة. في آخر مرة حضر زوج أختها بالتليفون المحمول (الموبايل) الحديث جدًّا، ومعه داخله ملف لإحدى النوبات التي وصلت إلى ٢٤ دقيقة، نقلها بتكنولوجيا العولمة أو ما بعد الحداثة إلى أسطوانة CD، تمكنني من مشاهدتها بوضوح، وكأن واضحًا فيها (التصدع، الشرود، الألم النفسي والعضوي، التشوش Confusion، الحيرة، البلبلة، الارتباك Bewilderment).

نوجة أجرت فحوصًا كثيرة بعد نوبة من الشلل الهيستري في النصف الأسفل من الجسم عام ٢٠٠٤، انتهت بعملية تفريغ نفسي Abreaction، خرجت نوجة من العيادة منها على قدميها بعدما دخلتها على كرسي متحرك تدفعه أربع من النسوة وطفلين ورجلان في (زقّة)، تؤكد نوبة الشلل الهيستري على المكسب الثانوي الذي تجنيه نوجة، حيث كأن المكسب الأولي إعفاءها من مسئولياتها كزوجة (خاصة في التعامل مع زوجها نفسيًا وجنسيًا وحياتيًا)، كأن هناك تصدع خفي في العلاقة الزوجية بمعنى (التباعد النفسي)^(١)، أي تلك الحالة من الانطفاء في علامة العاطفة. الجنس، أو خوفها إلى درجة متقدمة، مع ما يضاف إليها من تراكم التناقضات في التوقعات والسياسات والألويات وما ترتبها من حاجات، وكأن

(١) د.مصطفى حجازي، الصحة النفسية، المركز الثقافي العربي. بيروت، الدار البيضاء. الطبعة الثانية ٢٠٠٤

الرباط الزوجي قد استنزف على صعيد العاطفة والشراكة، ومع هذا الاستنزاف يتزايد التباين وتتقلص منطقة التقاطع بين دائرتي الرباط الزوجي (كل شخص يمثل دائرة)، وتتباعد هاتان الدائرتان وينشأ عنهما عالمان مختلفان: كل من الزوجين يبدأ التحرك في فلك خاص به، على مختلف الصعد والاهتمامات^(١) (فسيّد لا يحمل أي وسامة كما أنه يهمل في مظهره جدًّا، بخيل)، أو كما صرحت نوجة تفصيلًا في الأول من يونيو ٢٠٠٢، كأن هذا الحوار التالي:

نوجة: أنا عندي استعداد، كأن عندي أعراض خفيفة من وأنا بنت. قبل ما أتجوز بسنة.

المعالج: بتحبى جوزك؟

نوجة: ما هو أبو عيالي....هاقول إيه يعني؟!

المعالج: إحكى لي عنه.

نوجة: بيننا مشاكل جامدة قوى ع الفلوس، بيخبي مني على طول دخله، الكذب في دمه على طول، مايفسحناش، بتاع مصلحته وبس.

ذكرت نوجة فيما ذكرت من أعراض (القذف السريع) لدى زوجها، رعشة في الشفاه والشم، تصلب في الساقين إغماءات متكررة، زيادة كبيرة في الوزن.

(١) نفس المصدر السابق

في المقابل كأن مظهر زوج أختها، بهيّ الطلعة، مهندم الشكل لبق الحديث، واثق من نفسه، وكأن إعجاب نوجة واضحًا به وأسرت له بمعظم أعراضها له ووكلته متحدثًا رسميًا باسمها مع المعالج، ورغم المشقة التي يتجشمها إلا أنه كأن يجب ذلك الدور، في حين فضّل الزوج الانسحاب وترك الدور يلعبه آخرون بكفاءة بعيدًا عن المواجهة والمشاكل.

نوجة، تلبس، وتزين، (تطفش)، تخرج على غير هدى، تعاكس الرجال، كأن الأمر نوعًا من الشرود والتحول المحسوب Dissociative Fugue، وهو حسب المصطلح العلمي، اضطراب يحدث بشكل مفاجئ، غير متوقع يصحبه ترحال من مكان الإقامة (البيت)، وغالبًا ما لا يتذكر الشخص ماضيه إمّا كلية أو جزئيًا. اضطراب يكثر في هؤلاء الذين خاضوا الحروب أو عاصروا الكوارث والحوادث، وللأسف الشديد أنه لا توجد أي إحصائيات رسمية أو علمية في العالم العربي الملىء بالحروب والكوارث الطبيعية التي من صنع الإنسان، إذن ما هي ياترى نسبة حدوث اضطرابات (التجوال الانشقاقي)، في الشعوب العربية تحديدًا بين جموع المرأة العربية باختلاف أممها وشعوبها؟.

عودة إلى نوجة وأعراضها قبل عام بالتمام والكمال منذ كتابة هذه الدراسة، قالت نوجة :

- بأحس بقفشة في صدري (كتمة واختناق). حتى الكلام

مفيش. زى ما يكون فيه صاروخ ضرب في دماغي، ضرب بعد زنة كبيرة، كأن فيه دبور جامد دخل في ودني. ضيقة خلق باستمرار. لي صديقة تزوجت، اتصلت بزوجها وقلت له أنا معجبة بيك، وقلت وقلت وقلت، كلام كثير ما يتقالش، قتلته أنا رايداك أنا جوزي سيد خدته غصب عني.

كأنت نوجة تصرفي كل أقوالها وتفسير أعراضها (بأنها كما لو... (كأن) As IF، تراوحت الأعراض وتأرجحت بين الشلل الهيستيري والتجوال الانشقاقي إلى أعراض الجسدنة Somatisation، والتحول الهيستيري Conversion Hysteria، إغوجاج الفم، حشر اللسان، نوبات من النرفزة والعصبية الشديدة، كما كأن سماع القرآن الكريم يصيها بحالة غريبة من التوتر والشدة والإغماء، مما دعا الناس إلى التصريح بأنه حرام أن (يغلقوا)، الكاسيت الذي يذيع القرآن، إلى رش الماء، إلى أخوها الذي يحضر شيخاً بل شيخو يقرأون القرآن، فأحست بأن الجن قد جاء، نعم جاء إلى ولبسي (لبس وليس مس)، فأمسكت نوجة بالرجل الذي أمامها وضربته (نعم، ربما كأن هو الجن بذاته). (يمكن)؟.

شرحت نوجة أعراضاً تماثل تلك لحالة الصرع الصدغي وإدراك حسي متغير: هلوسات تلقائية، أصوات بعيدة عالية، اضطراب في تقييم المسافة والزمن. إحساس بالبعد والتباعد عن البيئة التي تعيش فيها عادة، وعدم القدرة على التعامل مع الأشخاص والأشياء حولها بشكل عام وعدم وكذلك عدم القدرة على التعامل بشكل

١. إحساس بعدم التحقق، الإدراك بوضوح والإحساس بالغربة عن النفس.
٢. إحساس بالوجود في أماكن لم تكن فيها قبلاً والإحساس بعدم الألفة في أماكن معروفة لديها.
٣. اضطرابات في الكلام، الأفكار والذاكرة، صعوبة في النطق أو قذف لكلمات متناثرة غريبة فجأة مع حديث غير منطقي أو غير مفهوم، (فسره المحيطون بنوجة على أنه نتاج لحالة العفريت، أو مسّ من الجن، وهكذا)... يعزز ذلك الاعتقاد السائد في الريف وغرابة الحالة مع نطقها بكلمات غير مفهومة، بجانب عدم الرغبة في الإقرار أن هذا مرض نفسي عصبي، مع إزاحة كل العوامل البيئية الأخرى كعدم الانسجام الزوجي). ولنتأمل سويًا تلك الكلمات لنوجة (أنا زهقانة على طول، عايزه أنام، بامشي وبامشي، مش عارفة رايحة على فين، زهقت خلاص، كأني في موقف ومكان كنت فيهم قبل كده، عايزة أتعلم السواقة، والنبي أمي زمان كانت وعدتني تجيبلي عربية، حاسّة بحاجة بتمشى في جسبي . أمي هتجيبلي عربية (أوبل)، لكن الحالة المادية لا تسمح الآن، كأني نايمة وكأني صاحية، عدم تركيز شديد، خوف، أنام وأصحي.

وأنا طالعة السلالم، أخاف حدَّ هيطلع ع السلم، فجأة كأن
كشاف نور ضَرَب في عينيا، عايزة أقوم وأقطعُ حتة من لساني
وأشوف هاتكلم واللا لأ؟! وأشوف فيه حدَّ تانى معايا واللا لأ، حدَّ
جوايا بيطلب مني ألبس وأتدلع وأحطَّ ماكياج، أنا فجأة بقي اسمي
خديجة، بأتوه توهان كامل، أبقى قاعدة باضحك عادي، وبعدين
دماغي تهتز، واخواتي واللي حواليا بيقولولي عندك ثلاث أشكال
للعين (ضيقة، وواسعة ومحلقة)، وساعات ضحكتي تبقى غريبة،
وساعات تبقى عادية، كمان باحس بكل القاعدين، وبرضه مش
حاسه بيهم، كأن عليّ عفريت وطلع، باشوف تخيلات ع الحيطه
ساعات، عقارب وحمّام وواحدة قاعدة في البانيوشكلها وِحش قوي،
بأتأوب (أثناء)، وبعدين أحس بوش شديد قوى في دماغي، بأحس
بدماعي مش طبيعية، أمسك بنت أخي أضربها ضرب مش معقول
لا يمكن يحصل لطفلة، وكمان باضرب ابني، لطشت وشه لغاية ما
احمر من الضرب (وبعدين أقعد أعيط وأطبطب عليهم، وجوزي
عامل زى خيال الماتة، زى ما هوّ، مش طايقاه، بهدلني وخالّني
أسيب البلد (الأرياف)، وأجي أقعد في مصر في حتة مقطوعة)، (كأن
فية جِلَل. أوعية طبي) جوّه دماغي بتخبط.

لسنا هنا بصدد الحديث عن الصورة الإكلينيكية البحتة
لحالة صرع صدغي، ولكن ما يهمننا في هذا البحث هو إلى حد كبير:
العوامل المؤثرة والمهيجة للحالة بالتحديد: الاضطرابات الإنفعالية،
الإجفال (الخضة)، الصدمة أو الدهشة، الصراعات والتوترات

جوه الشخصية.

يزيد كل ذلك من جِدّة ودرجة تكرار النوبات التشنجية، ويختلف ذلك من شخص لآخر طبقاً لتركيبته ودرجة صلابته، أما في حالة نوجة فهي حتى لو لم تكن مضغوطة، مظلومة، تحس بأنها ليست في مكانها الأجدريها أن تكون (هانم) تعيش في بيت أنيق ليس ضروريًا أن يكون فخماً، أن يكون زوجها (رجلاً) يملأ العين والقلب والخاطر، أن تسكن قلب العاصمة لا أطرافها العشوائية، لا أن تسكن الريف ولا أن تعيش مع أهلها الفلاحين؟!.....

(نوجة) لم تقل أي من كل هذا صراحة، لكنها عبرت عنه وألمحت إليه كثيرًا،



نتقل من (نوجة) إلى ما يمكن الاصطلاح عليه باكتئاب المرأة المصرية، وهو إلى حدّ كبير ينطبق على المرأة العربية خاصة في الدول الفقيرة، لكننا خصصنا المرأة المصرية نظرًا لكثافة حالاتها نسبة إلى تلك العربية في مجال خبرتنا المحلية.

ولنا أن نتساءل هل يجوز أن نخصص اكتئابًا للمرأة المصرية؟^(١)

(١) فصل الأسرة والزواج . كتاب (وجع المصريين)، د. خليل فاضل (مؤلف وناشر).
٢٠٠٨. القاهرة.

نعم، يجوز لأنها (حمالة أسية)، (قوية) أحياناً تصبر كالجمل، ثم بعد ما يهجر البيت الأولاد وينام الزوج وهو يقرأ الجريدة، تنطفئ الشموع وتبدأ عملية اجترار الذكريات، قد تقوم لتحضر له كوب الماء والدواء، وهو يتابع نشرات الأخبار كجبل الثلج، وقد تدمع عيناها بسبب وبدون، وقد تشتاق إلى حضنه، بل تشتاق إلى الفراش المهجور.

هنا لا يمكن التعميم، فالمصريات منهن سيدات المجتمع المخملي، ربيبات النوادي والبلاجات والسونا والحمام التركي والسيارات الفارهة، ومنهن الجبّارات اللاتي لا يسمحن لأبنائهن الذكور بخيانتهم (نفسياً) بالزواج من أخرى، ويكن أفضح الحموات بالفعل. عمومًا. المرأة المصرية أكثر شجاعة وأكثر جرأة في التقدم بشكواها أحيانًا ما تكون شكاءة جدًا، لكن معظم الحالات التي تتراد العيادة النفسية تكون مظلومة مقهورة متعبة منهكة، (بالفعل إنهد حيلها)، كثيرًا إن لم يكن غالبًا. يخجل الرجل ويتوارى و(يتكسّف) ولا يحضر مع امرأته إلى العيادة النفسية، (هذا إذا وافق أصلًا على ذهابها للعلاج النفسي). يغضب للغاية ويقلب الدنيا جحيمًا إذا أشار أحد إلى أنه سبب اكتئاب امرأته. لكنه بانصرافه عنها، بالضغط عليها لكي تقف على حيلها دون كلل في المطبخ من أجل المعازيم، بلومها على طول في أي شأن يخص الأولاد، وأحيانًا بضررها، أو بإرهاقها في الفراش في مسلسل إدمان جنسي لا ينتهي (تسلية أو إثبات للفحولة)، أو العكس تمامًا، يهجرها في الفراش ويعطيها

ظهره، أو ينام في غرفة ثانية إن وجدت، أو على كنبه في الصالة.

وقد يظهر اكتئاب المرأة في مصر^(١) في صورة نهم شديد إلى الطعام، حالة شره عصبي تساعد عليها البنية الجسدية للمرأة المصرية، فتبدأ الإمتلاءات تظهر في الأرداف والبطن وأحياناً كل الجسم وكأنها (بتحط همها) في (حلة محشي) أو (صينية مكرونة في الفرن).

كذلك فإن المرأة المصرية، هي مثل مثيلاتها في الشرق يُعبرن عن أحزانهن جسدياً، فنجدها تشكو من آلام أسفل ظهرها، من سقوط شعرها، من ألم في الصدر (يُفهم على أنه تعب في القلب)، إلى آخر تلك القائمة، بجانب ازدياد نسبة توترها قبل الدورة الشهرية (حيث تزيد حدة المرأة وعصبيتها وغضبها في العشرة أيام التي تسبق نزول الحيض).

النظرية القديمة في الطب النفسي كانت تعتمد على أن هناك اكتئاباً تفاعلياً تتسبب فيه ظروف الحياة السلبية، واكتئاباً مرضياً يحدث بلاسبب إطلاقاً، لكن الاتجاه العالمي الآن هو أن الاكتئاب: اكتئاب، لأنه في كلتا الحالتين تتعكر كيمياء المخ العصبية، ويتطلب الأمر (فضفضة علاجية، مع علاج نفسي تدعيمي)، وأحياناً جرعات محددة من مطمئنات تحت إشراف الطبيب، أما بالنسبة للمرأة فما زالت هناك اتجاهات ترى ربط المسألة الهرمونية، الحيض،

(١) نفس المصدر السابق.

الحمل والولادة بالاكتئاب أو بالاضطرابات النفسية عمومًا، لكن كثيرًا من الأبحاث بدأ لا يعترف بنظرية ارتباط الاكتئاب بالولادة (بمعنى أن تلك المرأة أصلًا. مهياة للإصابة بالاكتئاب فجاءت الولادة كحدث سعيد بذلت فيه مجهودًا عصبيًا وجسمانيًا، أدى إلى إنهاكها بجانب أنها أصبحت أمًا وأمام مسئولية ليست سهلة)، بالنسبة لما يُشاع عنه خطأ بسن اليأس (أي فترة ما بعد انقطاع الطمث)، فإن المسألة في مصر مربكة ولها دلالات اجتماعية، نظرًا لأن المرأة المصرية إذا بلغت سن انقطاع الطمث أو استأصلت رحمها؛ فإنها في غاية الحساسية لمسألة (فقدان أنوثتها)، أو (أنها تحس بأنها فقط تنتظر الموت)، بخلاف بعض النساء في الغرب اللاتي تحديداً يبدأن حياة جديدة بدون أولاد، يمارسن هوايات متعددة، يلعبن الرياضة، ويذهبن إلى الأوبرا والدورات التدريبية والندوات لكن مع تقديرنا البالغ لانشغالات المرأة المصرية. إلا أنها (بيوتية) (تحب قعدة البيت، وحواديت الجيران، والتليفون والتليفزيون كوسيلة تسلية؟!)...، كما أن المرأة تمر بمرحلة تغيرات وتبدلات هرمونية كثيرة كل شهر، وعلى الرغم من أن البحث العلمي لم يثبت بعد أن التغيرات الهرمونية تلعب دورا في الإصابة بالاكتئاب إلا أن الأمر يبدو كذلك للبعض. البنت وهي في طريقها إلى مرحلة البلوغ معرضة للاكتئاب مرتين ضعف الولد، يعتقد علميا أن الأمر راجع إلى التغيرات الهرمونية المرتبطة ببدء الدورة الشهرية، والنظرية التي تعارض ذلك تؤكد أن البنت في تلك المرحلة تتعرض لضغوط وصراعات أكثر من الولد. تحديدا في مجتمعاتنا الشرقية وكل ذلك يتسبب في الاكتئاب.

الأنثى أكثر تعرضاً من الرجل للاغتصاب والانتهاك الجسدي والتحرش الجنسي وكلها أسباب قوية وراء الإصابة بالاكْتئاب، هنا فإن انخفاض الاعتبار الذاتي، والشعور باليأس، ولوم النفس تعد أعراضاً لقسوة الرجل الجنسية للمرأة واعتدائه النفسي والجسدي عليها. وعلى الرغم من أن المرأة أصبحت وزيرة وعالمة وقاضية، وتبوأت مناصب شتى فإن النمط الاجتماعي الذي تعودنا عليه في المجتمعات الذكورية، وكذلك في بعض دول الغرب، يجعل المرأة تحس بأنها أقل من الرجل شأنًا وأنها أحيانًا بلا قيمة، وأن دورها قد انتهى، وأنها وعاء وخادمة ومهمشة، مسكينة ومغلوبة على أمرها، تربي الأولاد، تغسل، تكنس، تمسح، تطبخ، تعمل، تشتري، تبيع، كل هذا يشكل ضغوطاً لا تنتهي على المرأة المصرية ويؤدي إلى اكتئابها.

فصل الأسرة والزواج . كتاب (وجع المصريين)، د. خليل فاضل (مؤلف وناشر). ٢٠٠٨. القاهرة.

أحياناً ما تعتبر المرأة (ست بيت راجل)..... (كده)، وهو تعبير شاع جداً مع نزوح الرجال إلى العمل في الخليج وشمال أفريقيا وأفريقيا وأوروبا (هناك قري كاملة في الشرقية متخصصة في إيطاليا، وقري كاملة متخصصة في فرنسا، ما أن يبلغ الولد ١٤- ١٥ سنة حتى يستقدمه أبوه، خاله، عمه للعمل معه في إيطاليا أو

فرنسا غالبًا في مزارع العنب يقطفونه، لدرجة أن تلك القرية كادت تصبح مثل التي في فيلم (عرق البلح). هذه المرأة الراجل، غلط، والسيدات المصريات مكافحات وعظيمات ولهن الشرف والفخر والاعتزاز. ولكنهن ستات في نهاية الأمر إناث!

هناك نساء كثيرات يعملن ساعات طويلة يتركن فيها بيوتهن (المفروض بيت العز والراحة)، يتمنين أن (يشتمهن رجالهن: أي أن يتيحوا لهن الفرصة لكي يتفرغن لشئون ست البيت، وأيضا للدلع والمكياج والاستعداد للقاء الجنسي)، لكن الظواهر المجتمعية في مصر تشير الآن. ريفًا وحضر. إلى أن ثمة انحسارًا نسبيًا في الأنوثة، وأن النساء المحرومات عاطفيًا أكثر اكتئابًا وأقل نضارة وجمالًا، فالزمن والعمل وصراعات الحياة وشعار اللهاث وراء لقمة العيش يخطف منهن لونهن الوردي، ويسحب منهن اهتمامهن بأنفسهن، إذن توارت الأنوثة مع الزنّ والنكد، مع علو الصوت وسوء المعاملة، كثرة طلبات الأولاد واختفاء مفهوم عطلة نهاية الأسبوع (Week End) تعتقد بعض النسوة أن كيلو ماكياج يكفي لدفن الهموم، لكنه في الحقيقة يزيد الأمر بشاعة.

وكما ذكرنا سابقًا، فقد تُستغل المرأة جسديًا دون أي احترام أو تقدير لمشاعرها، فتؤتى حينما يريد لها الرجل، وفي أحوال كثيرة (ترضيه) خشية تحقق مفهوم الخطاب الديني (بأنها ستنام ملعونة وستغضب عليها الملائكة)، في حين آخر متناقض تمامًا، فإذا هي رغبت في اللقاء الجنسي، فليس لها حق في طلب ذلك وقتما تشاء،

بل إن الأمر قد يصل إلى أبعاد مبالغ فيها للغاية حين (تُهجر في الفراش)، وعلى الرغم من أن هذا (مُحَرَّم) إلا أن الرجل الشرقي كعادته يرى الأمور مبتورة، يراها من وسطها، حسبما تهيء له ذاكرته إدراكه وفهمه، ففي حالات سفر الزوج للعمل خارج البيت لمدد طويلة، أو خارج الوطن تمامًا، أو لانحسار رغبته فجأة وهو في عزّ شبابه؟! تُحرم المرأة تمامًا من الاشباع الجنسي والحميمية المطلوبة، ولقد صرحت نساء كثيرات بأن (الهَجْر) ممكن أن يطول إلى ٥ سنوات يكون فيها الرجل مريضًا بالاكْتئاب، أو بميل جنسي جانح (رغبة في أن تُدَلَّه المرأة وتقسو عليه وتهينه حتى يثار في ذلك الاضطراب المعروف بال F.D أو ال Female Domination)، ولقد تقدم بالفعل رجل للعلاج، وأقرّ بأن لا رغبة ولا انتصاب لديه إطلاقًا في امرأته منذ أكثر من خمس سنوات، كأن محوّلًا من طبيب للذكورة، رأى في المتعالج رجلًا مكتمل الرجولة وأن المسألة في (دماغه) في (نفسه)، وأن الأمر أعمق من حالة (أعضائه التناسلية). في خضم فحصنا النفسي الجنسي لهذا الرجل الذي كان في أواسط الأربعينيات، أقرّ بأنه مدمن على مواقع الإنترنت الإباحية الخاصة باللذة المستمدة من إذلال المرأة للرجل وخضوعه لها وأنه قام بإنزال ملفات Download لمقاطع Clips بالثلاث في صورة هوس وانشغال شديدين، لكن المهم في ذلك الأمر أنه كأن يتخيل، يحلم ويحتلم بامرأة ريفية (من البلد) فائزة الجسم تمتطى حمارًا ذكرًا منتصبًا ولما واجهه المحلل النفسي في شكل مُباغت (وأنت نفسك تبقي الحمارده، أولعلك أنت هذا الحمار بالفعل)، انزعج بذكوريته

المشوهة إتجاهاً وتوجهاً رغبةً وتوقاً، انزعج بها ووجدها تختلط
بشركيته النمطية المعتادة صائحاً: لأ. لأ طبعاً. إزاي يعني !! ...

وكما تشكو المرأة العربية من إفراط الجنس غير
المحبيب، غير الرومانسي كما قالت نسوة كثيرات؛ فإنهن
لم يشتكين من قلة ممارسة الحب، وتظهر عليهن أعراض
ذلك الحرمان النفسي والجنسي من رجالهن، وفي دراسة
لنا تحت عنوان (قلة ممارسة الحب وراء معظم الخلافات
الزوجية)، أثارت جدلاً عند نشرها قلنا إما أكثر المشاكل
الزوجية، ويمكن الآن أكثر من ذي قبل أن نتأمل ذلك
المثل العامي القائل (ياما أبواب مقفلة، على بلاوى متلثلة)
لدى أول مشاجرة حقيقية أو معركة زوجية ساخنة، قد
يستغل الزوج سلطته وعصمته ويرمى يمين الطلاق، وإذا
كأن مسيحياً يسعى إليه، والزوجة من ناحية أخرى قد
تصرخ وهي تلكمه في صدره بقوة وهو يقبض على كتفها
(طلقني.. طلقني.. طلقني)، على طريقة الأفلام العربية.
والمشهد المعروف أيضا هو أن يهجر الزوج زوجته في
الفراش، أو أن تمنع هي عنه (الواجب) أو تشرد إلى بيت
أهلها، وقد ينفعل هو ويصرخ (علىّ اليمين لو طلعت بره
باب الشقة لتكوني طالق بالتلاتة). وهكذا سلسلة من
الأحداث والآلام من المشاجرات والعنف المنزلي والزوجي،
قد يجوز تسميتها المعارك الزوجية، ويكون الشجار المزمّن

بين شركاء العمر مجرد واجهة لأمر أخرى، بمعنى أن ما وراء الأكمة ما وراءها، فقد يكون السبب أمراً غير الأمور المادية وتدخلات الأهل، ضغط العمل، مذاكرة الأولاد، والدروس الخصوصية.

كتاب الاضطرابات الجنسي لدى الرجل والمرأة د. خليل فاضل . دار الهلال . مصر ٢٠٠٢).

هنا نجد أن السبب الأهم، بل ربما يكون السبب الوحيد هو الادعاء بأن العمل والبيت والأولاد لا يترك أي وقت لممارسة الجنس، ذلك الذي يدفع عش الزوجية ويبعث فيه بالحيوية^(١) إن الزوجين اللذين يرهقان نفسيهما ولا يتمكنان من المعاشرة بانتظام لن يفكرا في التخلص من هذا المأزق، وسيستمران في الروتين، لكن إذا كسرا قاعدة ومأزق الدائرة المفرغة فسيجدان أن الجنس له فعل السحر وليس مجرد لحظات نشوة وتفريغ للطاقة، لكن سيستغرقان أكثر في التعرف على جسد كل منهما، وسيمتلئان بالطاقة والانتعاش، وليس التعب على عكس ما يعتقد البعض، ولقد سألنا كثيرا من الأزواج متى احتضن رجل زوجته وقبلها قبلة رائعة، أو حتى عادية على الشفاه، أو في العنق، أو حتى على الخد كالأخوات، ربما في المطبخ وربما في الصالة لدى عودتهما من زيارة، متى أمسك بيدها ومتى غنى لها أغنية أم كلثوم (واحشني وانت قصاص عيني . مثلاً)، إن النمط التقليدي للزوج الذي يعمل طوال اليوم، يعود للبيت

(١) نفس المصدر السابق.

منهكاً، تكون فيه الزوجة تعمل نصف أو ثلاثة أرباع يوم وقد تكون ست بيت، ولكنها تقضى الوقت في ترتيب البيت وتنظيفه ثم تهرئ الوجبة الرئيسية، (في كثير من البيوت المصرية الآن تكون وجبة العشاء المبكر، وبعدها يبدأ الرجل في مراجعة أوراقه والتحضير لما سيقوم به في الغد، كما تنشغل الزوجة تماماً مع الأولاد في المذاكرة، وقد يشترك معها الزوج وقد يلتزمان الصمت وإعلان حالة الطوارئ لوجود المدرس أو المدرسة في البيت. وبعد أن يخرج المدرس ويذهب الأولاد إلى فراشهم، ينهار الزوجان على مقعديهما أمام التليفزيون، حتى يغليهما النعاس ولا يحسان إلا بديك الصباح يوقظهما ليبدأ دورة الروتين من جديد). قد يبدأ الزوجان حياتهما بشكل مختلف، ربما كانت الزوجة أكثر اهتماماً بمظهرها، وربما كأن هو أكثر تعاوناً وصدقاً، ربما وربما، لكن المؤكد أن كلاً منهما كأن أقل انشغالا وأقل همماً، ومن شبه المؤكد أنه في كثير من الأحيان تقل (الرفقة) إن لم تكن قد انعدمت بفعل الظروف، وبفعل فاعل يكمن كاللص في الذرة يتربص بهما وبالزمن، يتربص بالقدرة على الاستمتاع بالحياة، بالأكل، بالجنس، بالزواج. إن نوبات الطلاق والفتور العاطفي والخصام الزوجي أصبحت شائعة جداً، أصبحت كالمح للطمع، بجانب كل هذا قد تطفو أمور أخرى علي السطح، أمور أكثر حساسية، من هذه تلك الأمور إحساس الزوج بأن زوجته تتظاهر بالوصول إلى قمة النشوة أو (الرعشة) Faking Orgasm والزوج الذي يدرك ذلك، لا يدري لماذا تفعل زوجته ذلك ؟ لماذا تزيف مشاعرها وتمثل وصولها إلى قمة اللذة، ما الذي يجبرها على

ذلك؟! هناك تصور عام لدي الناس أن الزوجات يزورن إحساسهن الجنسي ويمثلن رعشة الجماع، رغبة منهن في ألا يعرف أزواجهن أنهن لا يستمتعن بالممارسة الجنسية معهم، في الحقيقة هناك نساء كثيرات يلجأن إلى تلك الحيلة لنفس السبب، بمعنى أن الرجل يجد صعوبة في إمتاع زوجته، ومن ثم تقرب الزوجة المسافة بالتظاهر المبكر حتى تريحه نفسياً وتزيح من علي كاهله عبء المسؤولية.^(١) يتحول الجنس الطبيعي بين الزوجين إلى (جنس عند الطلب)، لذلك يتحول الزوج والزوجة إلى ممثلين يؤديان أدواراً، ومن هنا تأتي الرعشة الزائفة، في حين أن الرجل بطبيعته لا يتمكن من تزييف مشاعره لأنها تظهر لحظة القذف فكثير من النساء باستثناء هؤلاء (الهوانم) مرهقات، مشتتات الفكر، منهكات ومتعبات نفسياً، يختصرن الطريقة بتمثيل رعشة جنسية نظراً لأنهن أيضاً بجانب تعبهن. لم يتلقين الإثارة الجنسية الكافية، ومن هنا إذا أحس الرجل بأن زوجته تمثل الوصول إلى ذروة المتعة فعليه أن يجالسها ويكلمها ويلمسها دون أي ضغط للقاء جنسي، إلى أن تأتي اللحظة المناسبة والمهيأة التي يتم فيها اللقاء علي مراحل تصل فيها المرأة إلى ذروة المتعة دون تمثيل. من صراعات المرأة العربية الأشد وطأة ودهشة ووضوحاً هي تلك الممثلة في الجهل الجنسي، فالصراع الأول ممثلاً في طبيبه متزوجة لها ولدان، ناجحة جداً في عملها لكنها لم تدرك إلا بعد سنوات أن زوجها يعاني من عجز جنسي (عضوي) Organic Impotence، ولم تدرك معنى العلاقة الجنسية الصحيحة المكتملة

(١) نفس المصدر السابق.

ولم تعرف ضرورة الوصول الجنسي لذروة المتعة Orgasm بشقية
السيكولوجي والفسولوجي، وظهرت الأمور وبانت بعدما أختلفا
على (المال) أوجه الإنفاق، وضعت همها في (تحويشة العمر) خلعتة
بعد ١٥ سنة زواج، حاولت فيها أن تجمل الأمر وأن (تستحمل) كما
يقول معظم الناس، لكن لما فاض الكيل، واختلف الزوجان على
(شقة) تبينت هي أن لبّ الأمر جنسي، ليس بمعنى الأداء والإشباع
والتحقق جسديًا فقط ولكن بمعنى الاقتراب والحميمية والتوحد
والمشاركة، المرأة الأخرى أيضًا متفوقة في عملها، وانخرطت في
العمل العام، مثقفة لها حضورها ووجدانها النشط، وصفت
زوجها بأنه تقليدي (كلاسيكي)، نمطي بارد غير مبدع، وبعدها
بدأت ببعض الخجل تحكى أنها وبعد حوالي ٥ سنوات أدركت أنها
لا تحس إطلاقًا بعضوه التناسلي داخلها، لا حجم ولا طول ولا قوة
انتصاب، في الحاليتين كأن الرجل لطيفًا مداعبًا (بيبوس كثير وعلمها
أن تحمد الله على ذلك)، (بيداعب قبل الجنس المبتور الناقص
المشوه، وإيه فايدته؟!). كل من النموذجين وغيرهن كثيرات
(ناجحات عمليًا، فاشلات عاطفيًا)، ولا نعني بالضرورة هنا فشل
اختيار الزوج فحسب لكن فشل الحياة الانفعالية، توجيهها إلى
(المادة) مذاكرة، تفوق، طب، كسب مادي، سيارة فخمة، موبايل
حديث ومتطور جدًا... الخ... ولكن حتى في علاقاتهن الحقيقية
أو العابرة مع رجال آخرين، هن فاشلات لأن الإعاقه الحقيقية
تعطل التواصل الوجداني الحق، وتمنع تحقيق الذات مع الآخر،
تستعيز بتحقيقها مع النفس فقط وكأنها بالفعل (العادة السرية

الاستمناء ذهنيًا، جسديًا وماديًا وعاطفيًا). وبالفعل ذكرت إحدى النماذج لرجل أحبته وارتبطت به أنها تختلف معه ماديًا وسلوكيًا وحياتيًا، لكن لا مانع من الاستمرار في تلك العلاقة لأنه (شاطر جنسيًا)، فانشغرت العلاقة واختزلت لديها، كما في أمور العمل والمادة والعلم، في (المصلحة)، والمصلحة هنا تعني فقط الحصول على (الإشباع الجنسي)، نعم فقط دون أي التزامات أخرى، هنا صراعات ما بعد الحداثة ممثلة في استخدام التكنولوجيا لتطوير عيادتها، في السفر إلى لخارج بحثًا عن آخر أخبار العلم، في الموضة التي تناسب أولاً تناسب العمر، في التميز والتفوق، ولكن كل هذا لتعويض فاشل لأمر إنساني وغريزي بحث للعلاقة مع الرجل. على حساب حميميتها تطويرها وتجسيدها وتحقيقها للنضارة والراحة، السكينة لهذا وفي نماذج أخرى للمرأة العربية العاملة نجدها تترك عملها طواعية، وتطور علاقتها الحميمية مع زوجها، وتترك له بعض أوكل المفاتيح التي تركها لها وسافر، تجبره على العودة، تطلب منه أن تكون (سيدة البيت)، وترى نفسها في ذلك (سيدة القصر)، كما هي ناجحة عملياً هي قادرة على رعاية نفسها وتدليلها، لكنها في نفس الوقت إذا ما (بسرعة) حاول زوجها إرضاءها بمزيد من الجنس، نجدها (تفصل) من القشرة الدماغية، من (فوق)، لا لشيء إلا لأنها .بالفعل. مشغولة جداً بتحقيق أهدافها.

مين السبب في الحب القلب ولا العين... لا ده ولا ده؟

مين السبب في الحب القلب ولا العين سؤال حير الشعراء والأدباء، لكن العلماء حسموا الجدل وقالوا إنه لا القلب ولا العين بل الدماغ، وأثبتت دراسة أجراها الباحثون في جامعة ملبورن الأمريكية أن الرغبة العاطفية عند الانسان تعتمد علي حجم دماغه. ووجد الخبراء أن الرغبة العاطفية والشهوة تتناسب مع حجم منطقة «أميجدالا الدماغية» وهي مركز صغير مسئول عن العاطفة يقع في الدماغ وغالبا ما ينشط بالحب، ووجدوا أيضا بعد تحليل نتائج الأشعة التي أجريت علي ٤٥ شخصا أن الرغبة والانجذاب العاطفي أمور مرتبطة بحجم منطقة أميجدالا. العلماء أجروا أبحاثهم أيضا على مجموعة من مرضي الصرع أجريت لهم جراحة لإزالة جزء من الدماغ بما يسمح له بالقيام بالوظائف الأخرى وتبين لهم أن الأشخاص الذين بقيت منطقة الأميجدالا اكبر حجماً أبدو ميلاً أكبر للانجذاب العاطفي نحو الجنس الآخر. دراسة أخرى أجراها باحثون بجامعة برشلونة بينت أن الدماغ يستجيب أكثر وأسرع للشعور بالسعادة من الشعور بالحزن.

بتصرف عن الأهرام

(الراجل المسافر لازم يرجع ... أوكي عاد، إذن لابد أن يمارس أبوته وسلطته، وأن يتولى مسئوليته، أن يربي أولاده ليس بمعنى الإنجاب والإنفاق، لكن بمعنى التوحد الحقيقي، أي أن يتسلم شؤون الإدارة والحكم، أن يفتح المُجَمَّد من العواطف، أن يدرك أن أمراته متعلمة وماهرة، ولكن أمه أرادت له واحدة لا تفتح فمها، واحدة بيضاء (مرربة) سميحة ذات تدين كبيرين تمكنه من مواصلة الرضاعة وتبعده عن (شبح الفطام)، عليه أن يبلغ وأن ينضج وأن يعي أن أمراته كأنت من خلال جلسات تحليل نفسي عميقة ومطولة، لابد أن تتعلم فن حلّ الصراعات، أن تدرك وتعي خطورة أن يتقدم بها العمر ورجلها يتوه في صحراء أفريقيا يبني محطات تكنولوجيا عالمية، أن تعلمه أن تخزين الثروة وتكديسها من ٣٠ ألفاً إلى ٣ ملايين قد ينتظر الـ ٣ مليون وقد يموت فجأة وحيداً في هوتيل غير نظيف بعاصمة أفريقية ساخنة الطقس خشنة التعامل، أو أن يعود ليموت بعد عودته فيشب أولاده على قبره يتحسسون طريقه وقد (يعملون عملته) لأنه لم يعلمهم شىء.

